

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل

25. لا نمثّل الإسلام إلا بإخضاع الدّنيا لنفوذنا



5 صفر 1380هـ الموافق 29 جويلية 1960م

الحمد لله الّذي يسيّر الأمور بعلمه وحكمته، ويُجري الحوادث حسب مشيئته وإرادته، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، يوري عباده قوّة عظمته وملكوته، ويجعلهم يخضعون لقهره وجبروته، ويتضرّعون إليه إذا أحاطت بهم المحن، وألمّت بهم الشّدائد، سبحانه من مدبّر حكيم، وعليم خبير، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي سار على منوال الحكمة في كلّ أقواله وأعماله، ولم يترك لحظة فراغ تمرّ دون أن يقدّم فيها خدمة عظيمة لرفعة شأن دينه، والدّفاع عن كيان أمّته وشعبه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الّذين لبّوا نداء ربّهم، وقاموا بدفع غائلة أعدائهم وخصومهم، حتّى عاشوا أحرارًا مبجّلين في بلادهم، رضي الله عنهم، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ الله قد كتب الحياة والعزّة للمجدّين، والذّلّ والهوان للمتوانين والغافلين، وأنتم تعلمون أنّ الدّنيا تعزّ وتعطي لمن عركها، ومارس حلوها ومرّها، وصبر على أشواكها وآلامها، وتخيّب من ضجر منها، وأدبر عن استخراج كنوزها وجواهرها.

والدّنيا في الحقيقة والواقع مزرعة للآخرة، وقنطرة إلى الوصول بنا إلى الرّبح الدّائم، والنّعيم الأبديّ الخالد؛ لأنّ تمثيل هذا الدّين الإسلاميّ في هذه الحياة وتنفيذ قوانينه ونشر فضائله ومباديه إنّما تمثّل على مسرح الدّنيا إذا كانت من ممتلكاتكم، وخاضعة لنفوذكم وسلطانكم.

أمّا الّذي نبذته الدّنيا نبذ النّواة بسبب أنّه يجهل سرّ كنهها وطريق امتلاكها فإنّه يصبح طريدًا مشرّدًا، لا ينتفع بدينه، ولا يتمكّن من الفوز بجنّة آخرته، أو نيل رضا ربّه وخالقه.

لأنّ سعادة الأبد أُعدّت للمتّقين، والعاملين الّذين تـمكّنوا من التّغلّب علـى هذه الـحياة، حتّى أصبحوا أقوياء فـي مادّيّاهم ومعنويّاتهم، وقاموا بتنفيذ وصايا ربّهـم، وخدمـة مصالــحهم العامّـة للتّرفيـه علــى الـمستضعفين من أبناء جنسهم، حتّى يرتفعوا بهم إلـى القوّة الّتي تـمكّنهم مـن أن يصـبحوا يـدًا عاملـة، وعضدًا مساعدًا للسّموّ بدينهم ودنياهم، والنّهوض بالإنسانيّة، والتّرفيه عنها.

أمّا الّذين استضعفوا وفـي إمكانهم التّغلّب علـى كـلّ الــمشاكل الّتـي تعـترض سـبيلهم، فكـأنّهم قـد اختاروا الدّناءة والـحقارة علـى العلوّ والرّفعة، والغضب الإلـهيّ علـى رضاه ورحمته.

ولكن نحن اليوم لا يفيدنا هذا الإغفال الّذي حطّم كياننا، وكاد يودي بنا إلـى الـهلاك والدّمار.

ولكن لنختر طريق العزّة، وطريق الدّين، والعلم، والـحكمة، ولـنعش فــي هـذه الــحياة عيشـة شرف ورفعة، لا عيشة ذلّ وهوان، ولنبع فـي سبيل هذا الدّين وفـي سبيل كسب الشّرـف كـلّ مـا نملـك حتّـى نشتري الـحياة الـحقيقيّة الّتي تسمو بنا في الـدّنيا وفــي الآخـرة، ونكتـب بـذلك فــي زمـرة الفـائزين الـمتفوّقين.